

## الدراسات الاستراتيجية بعد الحرب الباردة:

لم يتنبأ الباحثون الاستراتيجيون بنهاية الحرب الباردة و زوال الصراع بين الشرق و الغرب ثم زوال الشرق بمفهومه الإيديولوجي القديم، كان ذلك لابد من أن يحدث صدمة في العالم تليها ارتباك أو انهيار لا يعرف أحد إلى اين يذهب، لقد كان ذلك مريحا للغرب نظريا لكنه عمليا صدمة حقيقية حيث ان الغرب لم يعد يعرف كيف يميز بين اعدائه و اصدقائه، بل أصبح يبحث عنهم و يخلقهم عند الضرورة (خلق الخطر الأخضر الإسلامي و محور الشر مرورا بالإرهاب الدولي من خلال سياساته الرامية على محاربة الشيوعية أولا ثم في مخابر بحوثه الاستراتيجية) أما العالم الشرقي فقد أصيب بانهيار حقيقي لم يستعد منه صوابه إلا قليلا و قد انحاز الكثيرون ممن تكلوه إلى عدوهم القديم، أما في العالم الثالث ففقد الثائرون كل مرجعية و اصابهم الانهيار مثلما أصاب العالم الاشتراكي، و الكثيرون منهم لم يفيقوا من ذلك الانهيار الفكري و المادي فاختلط عليهم العدو بالصديق تحت الضغط المتزايد لاحتياجاتهم المادية كان من الضروري في الجو الاستراتيجي الجديد الذي تميز بالفوضى، و الذي يستبعد و لو لفترة فقط احتمال وقوع حربا نووية و تقليدية بين الدول العظمى، و بالتالي إعادة النظر في الدراسات الاستراتيجية و دورهما و الأسئلة الأساسية التي تطرحها.

لقد اثر هذا أولا على مفهوم الأمن، في غياب خطر عسكري تقليدي على امن الدول الغربية إذ كان لابد ان يتحول مفهوم الأمن و يتسع ليشمل أخطار غير تقليدية كنا نعتبرها من مجالات أخرى غير المجال الأمني، و اعتلت تلك الأخطار الأجندة الأمنية الغربية، و كان لهذا نتيجتين على الدراسات الاستراتيجية:

1- تحول مجال الأمن إلى حقل دراسي متخصص انفصل عن الدراسات الاستراتيجية.

2- إن الدراسات الاستراتيجية توسعت من موضوع بحثها عن السبل الكفيلة بتحقيق الأمن فلم تعد تهتم بالجانب العسكري و المجالات الاقتصادية و السياسية و الدبلوماسية فحسب بل أصبح المجال الاجتماعي جزءا من الدراسات الاستراتيجية، فقضايا الجريمة و المخدرات و

الهجرة غير الشرعية على سبيل المثال، هي في اساسها مشاكل اجتماعية لا يمكن محاربتها و استئصالها بالاستراتيجية العسكرية التقليدية.

فقد نتج تراجع أهمية الأخطار الأمنية العسكرية و الذي نتج عنه بدوره تراجع أهمية الاستراتيجية العسكرية في تحقيق الأمن في الجو الاستراتيجي الجديد، أو هكذا يقولون، في الوقاع الأخطار العسكرية التقليدية مازالت قائمة، و لكنها في الظرف الحالي تراجعت إلى مكانة ثانوية بالنسبة للدول الكبرى فقط، فلقد عرف العالم الكثير من الحروب في نهاية الحرب الباردة، حروب اشتركت فيها الدول الكبرى الغربية كطرف أساسي، كما اشتعلت الحروب الداخلية و الأهلية عبر العالم منذ نهاية الحرب الباردة، و أينما وجدت الحروب الأهلية و الحروب الداخلية وجد شبح الحروب الدولية التقليدية في شكلين أساسيين<sup>1</sup>:

1- التدخل المباشر من قبل قوى أجنبية و تصعيد هذه الحروب، و انتشارها لتشمل دول مجاورة و هذا ما يستدعي ليس الحذر فحسب بل الاستعداد الدائم الاحتمال و وقوعها و هذا ما يحافظ على الدور الأولى للدراسات الاستراتيجية.

2- البحث عن الاستراتيجيات الكفيلة التي تتطلبها الأخطار الجديدة التي يستدعي التعامل معها اللجوء للقوة العسكرية.

و هذا ما أدى إلى انفصال دراسات الدفاع و بروزها كحقل دراسي متخصص جديد.

1- انفصال تخصصي للأمن و الدراسات الدفاعية من جهة.

2- توسيع بقعة اهتمامها من المجال العسكري الضيق إلى مجالات غير عسكرية و هذا يعني أن الدراسات الاستراتيجية تبحث عن موضوعها الذي اصبح يختلف عما كانت عليه سابقا، و إذا كان التخصص يعني حقيقة التخلي لما هو غير جوهري التعمق فيها هو في جوهر الأشياء التي ندرسها لنكون قادرين على دراستها أحسن فالدراسات الإستراتيجية تبتعد تدريجيا عن جوهر الاستراتيجية التقليدية التي ارتبط بالحرب و السياسة بينهما.

<sup>1</sup> -michael ho ward, **lesson of the goldwar, survival**, vol.36, winter 1995, p 161.